المعارف العمومية في القطر المصري

لجناب اللورد كرومر

ان الادلة متوفرة على دوام التقدم العظيم الذي حصل في نظارة المعارف العمومية في السنين الاخيرة. فالمدارس الابتدائية من الطبقة العليا تقدمت تقدماً واضحاً في طريقة التعليم وفي نتيجته عما كانت عليه في السنين السابقة وهذا التقدم ناتج عن المحافظة على الخطة المتبعة في المدارس منذ بضع سنين . وذلك ان عدد التلامذة الذين دخلوا المدارس لم يكن اعظم مما تسع منهم ولم يقبل تلميذ الاَّ في بدء السنة المدرسية ولم يرقَّ تلميذ من فرقة الى اعلى منها الاَّ اذا كان قد بلغ في العلم حدًّا معيناً . ثم ان المعلمين (الخوجات) لم يعيَّنوا الاَّ بعد تمام العناية بانتخابهم وذلك ان نظارة المعارف فرضت على كل من يطلب وظيفة للتعليم ان يكون قد درس فن التعليم وافلح فيه لكي لا تعطى رواتب المعلمين لاناس طلبوا التعليم لانهم لم يفلحوا في مهن أخرى فتأتى عن اقتصارها على تعيين اناس درسوا فن التعليم — ومن جملتهم تلامذة درسوا هذا الفن في مدرسة المعلمين بمصر واحرزوا شهادتها ثم توسعوا في درسه في مدارس المعلمين بانكلترا او فرنسا — انها تمكنت من ادخال طرق للتعليم مطابقة لمقتضى العقل ولاصول التعليم في مدارسها . وزد على ذلك ان الامتحان لنيل شهادة الدراسة الابتدائية يجري الآن على وتيرة واحدة وعلى مبدإ الانصاف والعدالة وهذا ما زاد الهمة في تدريس كل العلوم في المدارس الابتدائية

ومما هو خليق بالذكر خصوصاً احصاء الذين امتحنتهم لجان من قبل ديوان المعارف الامتحان السنوي الثاني لاحراز شهادة الدراسة الابتدائية في القاهرة والاسكندرية واسيوط في شهر يوليو الماضي فان عدد طالبي الامتحان كان ٥٦٨ سنة ١٨٩٢ فصار في السنة الماضية ٩٣٦ منهم ٣٣٧ درسوا الانكليزية و ٥٩٩ الفرنسوية وقد درس ٢٤٦ منهم جميعاً خارج المدارس الاميرية . وكان عدد الذين فازوا في الامتحان ٢١٢ سنة ١٨٩٢ فصار في السنة الماضية ٣٤٢ منهم ١٢٧ درسوا الانكليزية و ٢١٥ الفرنسوية وكانت درجة تحصيل المعارف المفروضة على طالبي الامتحان أرقى قليلاً في السنة الماضية عما كانت عليه في السنة التي قبلها . واجوبة الفائزين منهم في الامتحان احسن من اجوبة الذين فازوا فيه سنة ١٨٩٢ . ومتى حصل تلميذ شهادة الدراسة الابتدائية

جاز لهُ الدخول الى المدارس التجهيزيَّة او الى مدرسة الصنائع والفنون او الى مدرسة الزراعة وجاز استخدامهُ في الوظائف الدنيا

ولم يمضِ ثلاث سنين منذ اشترط على الذين يطلبون الدخول الى المدارس التجهيزيَّة ان يبلغوا درجة معينة في تحصيل المعارف وقد كان كثيرون من الفتيان يدخلون اليها قبل ذلك بواسطة الضغط على نظارها من غير ان يدرسوا شيئاً من دروس المدارس الابتدائيَّة . ففي سنة ١٨٩٢ اشترطت نظارة المعارف على كل من يطلب الدخول في المدارس التجهيزيَّة ان يكون حاصلاً على الشهادة الابتدائيَّة والاَّ فلا يقبل فيها فأسس التدريس التجهيزي من ذلك الحين على اساس صحيح قويم واصبح التلامذة الذين قبلوا في شهر اكتوبر الماضي لدرس اولى الدروس التجهيزية يضارعون الذين قبلوا قبلهم بثلاث سنين من كل وجه وارتقت المدرستان التجهيزيتان التابعتان لنظارة المعارف كثيرًا في النظام والتعليم في السنين الماضية وظهر التقدُّم جليًّا في الفِرَق الحديثة فيهما فقويت الآمال بزيادة ارتقائهما وتقدُّم التعليم التجهيزي في السنين التالية على شرط ان لا يغير بيان (برو جرام) الدروس فيهما تغييرًا جوهريًّا

ومِمَّا بان بهِ تقدُّم التعليم في المدارس التجهيزيَّة اوضح بيان عدد الذين احرزوا شهادة الدروس الثانويَّة بالامتحان في شهر يونيو الماضي فقد بلغوا اثنين واربعين وكانوا ستة وثلاثين سنة ١٨٩٣ وثمانية وعشرين فقط سنة ١٨٩١ . وقد درس تسعة من هؤلاء الاثنين والاربعين خارج المدارس الاميريَّة والباقون في المدرستين التجهيزيتين الاميريتين . ومتى حصَّل تلميذ هذه الشهادة اجازوا لهُ دخول المدارس الكليَّة او المدارس الفنيَّة مثل مدرسة الحقوق والطب والمهندسخانة وجاز استخدامهُ في الوظائف العليا

وللناس ميل عظيم الى القضاء والمحاماة ولذلك يقصد اكثر الذين يحرزون شهادة الدروس الثانويَّة مدرسة الحقوق دون غيرها وقد كان تقدم هذه المدرسة في السنة الماضية وافيًا بالمرام لا مثيل لهُ في سواها من المدارس الفنيَّة التابعة لنظارة المعارف العموميَّة . ومِمَّا يقضي بالاسف ان المهندسخانة والمدرسة الطبيَّة لا تقابلان مدرسة الحقوق سواء كان في الحال او في ما ينتظر لها في الاستقبال ويستبعد انهما تتقدمان تقدمًا جوهريًّا ما لم يتولَّ اشغالها مديران اوربيان من اُولي الكفاءة يعاونهما جماعة من الاساتذة الاوربيين كما يشاهد في مدرسة الحقوق

اما مدرستا المعلمين حيث يعلم المدرسون الوطنيون تدريس الانكليزية والفرنسوية والعلوم التي تدرس بالانكليزية والفرنسوية في المدارس الاميرية فلا تزالان سائرتين على قدم النجاح وان كان سيرهما بطيئاً وقد زيد عدد المدرسين فيهما وفي مدرسة الحقوق في السنة الماضية بتعيين اربعة من المعلمين البارعين الاوربيين اثنين من انكلترا واثنين من فرنسا

وقد ثبت تقدم مدرسة الصنائع ببولاق في السنة الماضية بدليل جديد يسر الخاطر فقد كان تلامذة هذه المدرسة لا يجدون بعد خروجهم منها عملاً يأخذون اجرتهُ الاَّ في ورش سكة الحديد اما في السنة الماضية فكثيرون من احسن تلامذتها لم يلقوا ادنى صعوبة في الدخول الى معامل الافراد باجرة جيدة

هذا وقد تقدمت المعارف في امور أُخرى غير ما تقدم ذكرهُ من التحسين في طريقة التعليم ونتيجتهِ فان عدد التلامذة ودخل المدارس مما يدفعونهُ اجرة تعليمهم لا يزالان في ازدياد وشاهد ذلك ان عدد التلامذة في المدارس التابعة لنظارة المعارف زاد من ١٩١٩ سنة ١٨٨١ الى ٧٨٠٠ سنة ١٨٩٢ و٩٠٩٥ سنة ١٨٩٣ منهم ٧٦١٠ في المدارس الابتدائية و٧١٣ في المدارس التجهيزية و ٧٧٢ في مدارس الحقوق والطب والهندسخانة والمدارس الاخرى الخصوصية. وعدد التلامذة الذين يدفعون اجرة تعليمهم زاد من ٣٠ في المئة سنة ١٨٨١ الى ٧٣ في المئة سنة ١٨٩٢ و ٧٦ في المئة سنة ١٨٩٣ ودخل المدارس زاد بلا انقطاع من ٢٣٢٣ جنيهاً مصرياً سنة ١٨٨١ الى ٢١٢٤٧ ج.م سنة ١٨٩٢ و ٢٣٠١١ ج.م سنة ١٨٩٣. وما من دليل اقطع من هذا الاحصاء على اقبال الناس على المعارف في بلاد لا تجبر اهلها على التعلم في المدارس ولم يكن من تقاليدهم بذل المال على تحصيل المعارف بل تلقيها مجاناً في المدارس. وقد اثبت الناس في السنة الماضية اخلاصهم في مايظهرونهُ من الاهتمام والثقة باشغال نظارة المعارف بما رفعوهُ اليها من العرائض لفتح مدارس جديدة عندهم وبما تبرعوا بهِ من المال في انحاء البلاد ودفعوهُ الى ديوان المعارف لينفقهُ من جملة ما ينفق على بناء المدارس

ولما كانت اعمال ديوان المعارف قد جاءت بالفوائد العظيمة سيفي السنين الماضية فالسداد يقضي بوجوب استمرار الاصلاح في المعارف على المنهج الجديد الذي يجري عليهِ الآن الاَّ ان هناك اموراً تنذر بما يخشى اذكى انصار المعارف ومحبو تقدمها في مصر من عواقبهِ فان ناظر المعارف تغير مرة أُخرى في سنة ١٨٩٣ فبلغ عدد الذين تعاقبوا

على هذه النظارة ثلثين ناظرًا في احدى وثلثين سنة . وكل تغيير من هذا القبيل يفضي في مصر الى اضطراب اشغال المدارس وانقلاب السياسة المتبعة في ادارة ديوان المعارف. ولم يخلُ الامر في السنة الماضية من الصعوبة في مقاومة اسباب التقهقر وحفظ المعارف من التأخر فان المدارس تقبل الآن من التلامذة عددًا لا تسعهُ ابنيتها ولا يكفي معلموها لتعليمهِ ومدارس أُخرى تفتح حيث لا يوجد لها معلمون اكفاء للتعليم ولا اماكن مناسبة للتلامذة . وكل ذلك زعمًا بان احسن دليل على تقدم المعارف هو كثرة عدد التلامذة كما كان اعتقاد الناس قبلاً . فاذا استقرت الحال على هذا المنوال انحطت درجة التعليم ودرجة انتظام المدارس لا محالة

وخلاصة القول ان المعارف ناجحة بقدر ما يمكن نظارة المعارف ان تنجحها بالاموال القليلة التي لديها . وان رغبة اهل مصر في المعارف الآن حقيقية لا ريب فيها . وان الحكومة المصرية راغبة حقًا في اجابة مطالب الناس من هذا القبيل ولكني ارتاب في ان مساعيها الصادرة عن حسن قصد منها تأتي بالغرض المطلوب في الامور التي لو ضحتها آنفًا

وقد بلغت مدرسة الزراعة سنتها الرابعة وفي شهر يونيو القادم يتخرج عشرون شابًا بين ١٩ و٢٣ من العمر من الدرس فيها مدة اربع سنين واكثرهم يطلب محلاً يشتغل فيهِ وقد طلب من المدرسة في خلال الاثني عشر شهرًا الماضية رجال يعملون بالزراعة فاستخدم جماعة من تلامذتها باجرة متفاوتة من ٥ الى ٨ جنيهات في الشهر قبل ان اكملوا دروسهم فيها وذلك يدلُّ على وجود الطلب على الذين تعلموا الزراعة علمًا واعتقادًا

وقد انشىء بستان لزيادة الإتقان في تعليم التلامذة علم النبات . وادخلت المدرسة الى البلاد اتقن الطرق الاوربية لعمل الزبدة وذلك آخذ في الاتساع والازدياد فان اناسًا فتحوا لهُ معامل صغيرة على نفقتهم في دمياط وابي قير والقصر . وقد جُرِّبت تربية النحل في مصر على النمط الحديث فنجحت وصار ذلك صناعة مجيدة فيها وتبين ان العسل الذي يجنيهِ النحل المصري ليس ادنى مما يجنيهِ النحل الاوربي في امر من الامور

ثم ان حرث الارض لزرع القطن بالمحاريث الاوربية قد افلح فعلاً . فالتجار جماعة من كبار المزارعين آلات منها ولكن الفلاح يجهل المعرفة اللازمة لاستعمالها حق الاستعمال ولذلك لايزال المزارع يجد صعوبة عظيمة في استعمالها وسيبقى الاقبال عليها بطيئًا حتى يستخدم تلامذة المدرسة عند المزارعين في المديريات

وقد بيع الباكر من البطاطس المصري بسعر ٢٥ جنيهًا الطن في العيد الكبير الماضي

بلفربول ولكن لقلة معرفة المزارعين بزراعة البطاطس خسر جماعة من الذين حاولوا زرعهُ ليبيعوهُ في بلادِ الانكليز فكان ذلك سبباً في تقليل هذه التجارة الرابحة

والعناية متجهة الآن الى الحصول على صنفين ثابتين من البقر في مصر من ثاج البقر المصرية واحسن اصناف البقر الانكليزيَّة معاً ويكون احد الصنفين غزير الدر كثير اللبن والآخر كثير اللحم جيدهُ مع بقاء قوتهِ على العمل كما هي عليهِ الآن

وقد اشتهر وجود صنف جديد من القطن احسن من الاصناف المعروفة وأُخبرتُ انهُ ابيض اللون ناصعهُ دقيق الشعرة جدًّا وطويلها وقويها ونقدَّر قيمة الليبرة منهُ بشلن في لفربول وجربت زراعتهُ في ارض فبلغ جني فدانها اكثر من عشرة قناطير ولم يبلغ جني الفدان من غيرهِ اكثر من سبعة قناطير

النسر والعقاب

تمهيد

يرى الباحث في علم التاريخ الطبيعي عندنا عقدةً يعسر عليهِ حلها وهي تطبيق الاسماء على المسميات ولا سيما في ما كان منها غير مشهور. فقد قضينا اليوم بضع ساعات ونحن نبحث عن مراد الكتَّاب الاقدمين كالقزويني والدميري والجاحظ بكلمة نسر وعقاب على اشتهار هاتين الكلمتين وانتشار المسمَّيين في هذه الديار. فان الطائر الذي يسمى نسرًا في حياة الحيوان الكبرى وعجائب المخلوقات يماثل وصفهُ وصف الطائر الذي يطلق عليهِ الافرنج اسم Vultur ويترجمهُ الكتَّاب المحدثون عقاباً. والطائر الذي يسمى عقاباً في هذين الكتابين يماثل وصفهُ وصف الطائر الذي يطلق عليهِ الافرنج اسم Aquila وقد ترجمهُ المتقدمون والمتأخرون نسرًا. والعامة في بلاد الشام توافق المتكلمين في طبائع الحيوان فان الطائر الذي يسمونهُ نسرًا هو المسمى باللاتينيَّة Vultur واليك بيان ذلك

النسر

قال الامام القزويني في وصف النسر انهُ سيد الطيور ولهُ قوَّة شديدة على الطيران حتى قيل انهُ يقطع من المشرق الى المغرب في يوم واحد وجثتهُ عظيمة ولهُ شمٌّ حادٌّ حتى قيل انهُ يشم رائحة الجيفة من مسيرة اربعة فراسخ فاذا سقط عليها تباعد الطير هيبةً لهُ حتى يفرغ من الاكل وهو لا يحضن بيضهُ وانما يبيض في الاماكن العالية ويلقيهِ في الشمس فتكون حرارتها بمنزلة الحضن. والنسر يتبع العساكر لطعمهِ من لحم القتلى